العنف وأثره على الصحة النفسية للمعاقين

أ.د. فقيه العيد

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر

Fekih_Laid@yahoo.fr

يمكن تعريف العنف على أنه سلوك عدواني سواء كان ماديا أو معنويا، مباشرا أو غير مباشر يظم جميع أشكال الضغط والسيطرة والاستغلال تحت تأثير التهديد أو الهجوم على الذات أو الآخرين أو ممتلكاتهم، كنتيجة مباشرة لسوء التنشئة الاجتماعية أو الإحباط أو الصراع أو التغيرات البيولوجية، قصد الإشباع الغريزي وخفض حدة التوتر النفسي.

● كلما ارتفعت درجة الإحباط، تزداد الرغبة في السلوك العدواني.

● إذا واجه السلوك العدواني صعوبات أو عوامل كف قوة تجاه مصدر خارجي، فإنه يترد نحو الذات أو ما يسمى بالعدوانية الذاتية.

● تكمن الغاية من السلوك العدواني في تفريغ الشحنات الزائدة من الطاقة النفسية وبالتالي التخفيف من حدة التوتر النفسي.

● أثناء القيام بالسلوك العدواني تنخفض القدرة على الانتباه، والتذكر، والتفكير السليم.

حجم مشكلة العنف تجاه المعاقين

- من خلال تقرير الأمين العام للأمم المتحدة حول العنف ضد الأطفال المعاقين : (النتائج والتوصيات سنة 2005) نستنتج أن ظاهرة العنف تجاه المعاقين، ظاهرة عالمية، وتنتشر بنفس الوثيرة في كل المجتمعات تقريبا .
- في بعض الأحيان يكون العنف تجاه المعاقين عن وعي وإدراك، وفي أغلب الأحيان يكون بدون وعي نتيجة لتراكم الضغط المهني والإجهاد لمرتكبيه، أو التعب وعوامل العزلة التي يمكن أن تؤثر على أسر المعاقين أو المهنيين.
- يبدأ العنف تجاه المعاقين في وقت مبكر جدا في كثير من الأحيان منذ الإعلان عن الإعاقة.
- يزداد العنف تجاه المعاق عندما تفتقر الأسرة لذلك الاتصال الوظيفي وكل طرف فيها لا يقوم بالدور المنوط إليه ولا يتحمل مسؤولياته.
- تؤكد الدراسات السابقة أن حجم العنف الموجه نحو المعاقين أكبر مرتين تقريبا من العنف تجاه العاديين .

معطيات رسمية حول العنف تجاه المعاقين عالميا حسب (المنظمة العالمية للصحة، 2005)

- عندما يقتل طفل واحد في المناطق الساخنة بالنزاعات والحروب، يصاب ثلاثة أطفال بجروح بالغة وإعاقة واحدة بشكل دائم.
- في بعض البلدان، ربع الإعاقة تنجم عن الإصابات البالغة والعنف.
- الأشخاص ذوي الإعاقة هم أكثر عرضة ليكونوا ضحايا الاغتصاب أو العنف، ولديهم فرصة أقل في الحصول على تدخل الشرطة والحماية أو الرعاية الوقائية.
- النساء والفتيات المعوقات اشد عرضة لسوء المعاملة إذا ما قورنوا بالذكور.
- 30% من أطفال المشردين في الشوارع هم من فئة الأطفال ذوي الإعاقة حيث يتم استغلالهم في التسول والسرقه المنظمة.
- معدل انتشار الإعاقة بين النساء يقدر بـ 19.2% مقابل 12% لدى الرجال. وأن البيانات المتاحة لدى هيئة الأمم المتحدة تؤكد أن 7 من أصل 10 نساء هن ضحايا العنف الجسدي أو الجنسي في مرحلة ما من حياتهن، وأن 50% من الاعتداءات الجنسية ترتكب ضد الفتيات دون 16 سنة.

- في كثير من الأحيان مرتكبي حالات العنف الموجه ضد المعاقين هم مقدمي الرعاية سواء من طرف الأهل في المنزل أو المهنيين في المؤسسة
- في أغلب الأحيان يحدث العنف داخل المنزل، ويتم إخفاءه تحت جدار من الصمت حيث يأخذ أشكال متعددة كلابتزاز والتهديد، أو التلويح بالحرمان المادي أو المعنوي لحاجياته الأساسية إذا لم يرضخ المعاق لنزواتهم الجنسية أو العدوانية.
- أشخاص ذوي الإعاقة الذهنية والمصحوبة بالمرض العقلي، أكثر عرضة للعنف الجسدي والجنسي إذا ما قورنوا بالأنواع الأخرى من الإعاقة
- ينتشر العنف بين المعاقين بنسبة مئوية قدرها 24.3% حيث يمثل العنف الجسدي 21.4% بينما العنف الجنسي يمثل 5.5% .

أشكال العنف الموجهة ضد المعاقين

- العنف المادي الصريح الذي يتضمن الضرب والرفس والركل والخنق والهز بعنف الذي قد يؤدي إلى الجروح والكسور والرضوض والنزيف... وغيرها.
- العنف المعنوي: وهو عنف يهدف إلى تحقير المعاق والحط من قيمته ويشمل الشتم والترهيب والعزل في مكان مغلق والإذلال والرفض والسخرية والنقد اللاذع والإقصاء والتهميش... ويعتبر العنف المعنوي بالنسبة للمعاق أكبر وقعا على نفسيته وأعظم ضررا على حاضره ومستقبله.
- الحرمان العاطفي من طرف الوالدين الذي يؤدي إلى عدم نضج المعاق معرفيا وانفعاليا وعاطفيا واجتماعيا وحركيا، وبالتالي تنامي مشاعر الاغتراب النفسي.
- تهديد المعاق بعقوبات شديدة إذا لم يمتثل إلى أمر ما، يثير الفزع والرعب في نفسية المعاق ويجعله دوما يعيش حالة من انعدام الأمن وتوقع التهديد والخطر الداهم. هذه الوضعية لا تسمح للمعاق بأن يندمج في النشاطات المختلفة وصعوبة التفاعل مع الآخرين.
- الشعور بخيبة الأمل لعدم تمكن المعاق من الالتحاق بالمؤسسات الخاصة وبالتالي عدم حصوله على الرعاية المناسبة بسبب اكتظاظ هذه المؤسسات ومحدودية طاقة الاستيعاب.

- سوء المعاملة النفسية والبدنية سواء داخل الأسرة أو في المؤسسات الخاصة أو المدرسة.
- رفض مساعدة المعاق للذهاب إلى الحمام، أو نقله إلى موقع ما رغما عنه على الكرسي المتحرك.
- عدم السماح للمعاق بأن يتصرف في ممتلكاته، أو إجباره على اتخاذ قرارات مالية رغما عنه، أو سرقة أمواله عن طريق التحايل عليه... الخ.
- نقص الرعاية الطبية المناسبة وسوء استخدام الأدوية وما يصاحبها من ألم.
- صعوبات كبيرة وتعنيف صريح يتعرض إليه المعاق أثناء التنقل.
- تعرض الكثير من المعاقين إلى العنف اللفظي والتجريح بسبب الرغبة في الزواج وتكوين الأسرة.
- الصعوبات المالية التي يواجهها المعاق وما يترتب عنها من إهانة وعنف لفظي.
- العنف المرتكب من طرف المعاقين أنفسهم.

أسباب العنف الممارس ضد الأشخاص ذوي الإعاقة

- الإعاقة في حد ذاتها: فالعجز والقصور الذي يعاني منه المعاق كيف ما كان نوعه أو شكله يستغل من طرف المعتدي .
- التفكك الأسري والخلافات الزوجية المستمرة ومحاولة السيطرة على الطفل المعاق بالطرق العنيفة والقاسية سواء باليد أو باستخدام أداة معينة.
- صدمة الأهل بطفل معاق تربك الأسرة وتجعلها تعيش حالة من الاتصال غير الوظيفي حينها يتشكل نمط تربوي خاطئ يذهب ضحيته الطفل المعاق بشتى أنواع الاعتداء
- تناول الكحول والمخدرات من طرف أحد الوالدين أو كلاهما يزيد الأمر تعقيدا ويصبح الاعتداء على طفلهما أكثر تواترا، سواء أثناء المرحلة الجنينية من خلال تأثير المخدرات على نمو الجنين أو أثناء مرحلة الطفولة.
- يصبح المعاق المعتدى عليه بدوره أكثر عنفا وعدوانية تجاه نفسه أو المحيطين به.
- تراكم الضغوط النفسية وشدة الإجهاد لدى العاملين بالمؤسسات الخاصة
- الجهل بكل أنواعه
- الظروف الأسرية المزرية التي لا تسمح بتلبية الحاجيات الأساسية لأبنها المعاق
- عدم تسليط الضوء علميا وعمليا وإعلاميا على ظاهرة العنف تجاه المعاقين، جعلها تتفاقم وتنتشر أكثر فأكثر. وهذا ما أشار إليه (Deborah, 2007) حينما قال " أنه لا توجد حتى الآن في سويسرا إحصائيات حول حجم العنف وأنواعه الموجه ضد الأشخاص ذوي الإعاقة. وبذلك تستمر المؤسسات الوطنية في إهمال هذه التصرفات الخطيرة "

دائرة العنف تجاه المعاقين على المستوى العائلي أو المؤسساتي

مرحلة التظاهر بالسلوك العادي

- محاولة تطبيع العلاقة
- هشاشة العلاقة

مرحلة الاجتياح التدريجي للتوتر

- ألفاظ جارحة أو مهينة أو اتهامات
- ارتفاع شدة التوتر بين الطرفين

مرحلة الاصطدام والعنف الصريح

- سواء كان لفظيا أو ماديا أو جنسيا
- بشكل أحادي أو متكرر
- بسط الهيمنة والتحكم في شخصيته
- الإذاء أو الإذلال

مرحلة العقلنة والتبرير

- اتهام المعاق أو إيجاد ذريعة منطقية
- يبرر بها فعلته
- محاولة ترتيب العلاقة ورأب الصدع

تأثير العنف على الصحة النفسية للمعاقين:

- تتأثر الصحة النفسية لدى الأشخاص ذوي الإعاقة الذين تعرضوا لمختلف ألوان العنف سلبا سواء على المستوى القريب أو المتوسط أو البعيد المدى، وذلك حسب نوع الاعتداء وشكله وشدته والفترة العمرية التي وقع فيها.
- فكلما حدث الاعتداء على المعاق في الصغر حسب نتائج الدراسات السابقة التي قامت بها "روبيرتا وزملائها" (Roberta et al, 2007)، خاصة إذا مورس الاعتداء من طرف الأشخاص المقربين منه كلما كان تأثيره على بنية الشخصية ونموها أسوء، حيث يساهم الاعتداء في تكوين بنية نفسية مرضية ذهانية أو عصابية أو حدودية، تجعلهم يعيشون في وضعية جامدة وحياة نمطية تفضي بهم في نهاية المطاف إلى فقدان الاستقرار والارتياح النفسي، فتتوحد لديهم مشاعر الاغتراب وتغيب المعاني الحقيقية للحياة وترتفع حدة الضغط النفسي لديهم.

● - من أبرز الأفكار التي تجول في ذهن المعاقين الذين تعرضوا للعنف والاستغلال، العزلة والاستبطان الداخلي وصعوبة في التعبير اللفظي عن عواطفهم ومعاناتهم.

● - اختلال الصورة الذاتية ونقص الثقة بالنفس، مما يؤدي إلى بروز سلوكيات عدوانية وتصرفات غير مألوفة وغريبة، وهي سلوكيات تعكس إلى حد كبير هشاشة الشخصية وعدم كفاية الميكانيزمات الدفاعية النفسية لديها.

● - يعاني الأطفال المعتدى عليهم ضعفا في الأداء الوظيفي للشخصية بشكل عام سواء من حيث تدني التحصيل الدراسي وضعف السيطرة على الذات وبناء الشخصية، مما يزيد من تشوه الصورة الذاتية لديهم وبروز أنماط سلوكية مضطربة تجعل المعاق يعيش مشاكل أكثر في المنزل والمدرسة والمجتمع ككل.

● - ومن المشاكل العاطفية الأخرى التي قد يعانيها الطفل المعاق المعنف: الغضب والعدوانية والخوف والعجز عن التعبير والإفصاح عن المشاعر، وحينما يكبر يكون قليل الثقة بذاته، ميالا للاكتئاب فتتمو لديه مشاعر الحزن واليأس والسلبية والانسحاب والإحباط والعصبية والتوتر والانحراف نحو تعاطي الكحول أو المخدرات أو المحاولة للانتحار.

● - تنامي مشاعر الاغتراب النفسي نتيجة الحرمان العاطفي الذي يؤثر على نضج شخصية المعاق معرفيا وانفعاليا وعاطفيا واجتماعيا وحركيا.

● - تهديد المعاق بعقوبات شديدة إذا لم يمتثل إلى أمر ما، يثير الفزع والرعب في نفسية المعاق ويجعله دوما يعيش حالة من انعدام الأمن وتوقع التهديد والخطر الداهم. هذه الوضعية لا تسمح للمعاق بأن يندمج في النشاطات المختلفة وصعوبة التفاعل مع الآخرين، فيعجز المعاق عن تكوين صداقات مثمرة مع أقرانه وضعف مهاراته الاجتماعية والمعرفية واللغوية، والشعور بعدم الارتياح وفقدان الثقة في الآخر.

- - التبول اللاإرادي ليلا والشعور بالذنب والخوف من تكرار الاعتداء، أو الخوف من الاندماج الاجتماعي وتكوين صداقات جديدة.
- - نوبات الارتعاش، ونوبات من البكاء، واهتياج غير منتظم، كما شوهدت لدى بعض المعاقين المعنفين حالة من الذهول والانحيار والاستسلام.
- - اضطرابات وظيفية: كالوهن النفسي، والآلام جسدية، والاضطرابات العصبية الحيوية، والصداع، والأرق الليلي والأحلام المزعجة، وفقدان الشهية.